

التبيان في آداب حملة القرآن

الباب الخامس : في آداب حامل القرآن وفيه فصول .

قد تقدم حمل منه في الباب الذي قبل هذا ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالا للقرآن وأن يكون مصونا عن دنياه الإكتساب شريف النفس مترفع على الجبايرة والجفاة من أهل الدنيا متواضعا للصلحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعا ذا سكينه ووقار وفقد جاء عن عمر بن الخطاب هـ أنه قال : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالا على الناس وعن عبد الله بن مسعود هـ قال : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكاؤه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وعن الحسن بن علي هـ قال : إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وتفقدونها في النهار وعن الفضيل بن عياض قال : ينبغي لحامل القرآن ألا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم وعنه أيضا قال : حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلو هو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن .

(فصل) ومن أهم ما يؤثر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيب هـ قال : قال رسول الله ﷺ [اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه] وعن جابر هـ عن النبي ﷺ [اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه] رواه بمعناه من رواية سهل بن سعد : معناه يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها وعن فضيل بن عمرو هـ قال : [دخل رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ مسجدا فلما سلم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن ثم سأل فقال أحدهما : إنا ﷻ وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ سييء قوم يسألون بالقرآن فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه] وهذا الإسناد منقطع فإن الفضيل بن عمرو لم يسمع الصحابة وأما أخذه الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء فيه فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه عن جماعة من العلماء منهم الزهري و أبو حنيفة وعن جماعة أنه يجوز إن لم يشترطه وهو قول الحسن البصري و الشعبي و ابن سيرين وذهب عطاء و مالك و الشافعي وآخرون إلى جوازها إن شرطه واستأجره إجارة صحيحة وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة واحتج من منعها بحديث عبادة بن الصامت [أنه علم رجلا من أهل الصفة القرآن فأهدى له قوسا فقال له النبي ﷺ أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها] وهو حديث مشهور رواه أبو داود و غيره وبآثار كثيرة عن

السلف وأجاب المجوزون عن حديث عبادة بجوابين : أحدهما أن في إسناده مقالا والثاني أنه كان تبرع بتعليمه فلم يستحق شيئا ثم أهدي إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجارة قبل التعليم وإِ أعلم .

(فصل) ينبغي أن يحافظ على تلاوته وكثر منها وكان السلف B هم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه فروى ابن أبي داود عن بعض السلف B هم أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة وعن بعضهم في كل شهر ختمة وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة وعن بعضهم في كل ثمان ليال وعن الأكثرين في كل سبع ليال وعن بعضهم في كل ست وعن بعضهم في كل خمس وعن بعضهم في كل أربع وعن كثيرين في كل ليال وعن بعضهم في كل ليلتين وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة ومنهم من كان يختم ثلاثا وختم بعضهم ثمان ختمات أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم عثمان بن عفان B و تميم الداري و سعيد بن جبير و مجاهد و الشافعي وآخرين ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر B قاضي مصر في خلافة معاوية B وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات وروى أبو عمر الكندي في كتابه في قضاة مصر أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي B : سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول : كان ابن الكتاب B يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة وروى السيد الجليل أحمد الدوري بإسناده عن منصور بن زاذان من عباد التابعين في والعشاء المغرب بين فيما أيضا ويختمه والعصر الظهر بين فيما القرآن يختم كان أنه B رمضان ختمتين وسيأتي وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء وعن منصور قال : كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يحيى فما يحل حيوته حتى يختم القرآن وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان و تميم الداري و سعيد بن جبير B هم ختمة في كل ليلة في الكعبة وأما الذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون نقل عن عثمان بن عفان B و عبد إِبْن مسعود و زيد بن ثابت و أبي بن كعب B هم وعن جماعة من التابعين ك عبد الرحمن بن يزيد و علقمة و إبراهيم رحمهم إِبْن والإختبار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهزيمة وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد إِبْن بن عمرو بن العاص B هما قال : قال رسول إِبْن A] لا يفقه من

قرأ القرآن في أقل من ثلاث [رواه أبو داود و الترمذي و النسائي وغيرهم قال الترمذي حديث حسن صحيح و] أعلم و أما وقت الابتداء و الختم لمن يختم في الأسبوع فقد روى أبو داود أن عثمان بن عفان B ه كان يفتح القرآن ليلة الجمعة و يختمه ليلة الخميس و قال الإمام أبو حامد الغزالي C تعالى في الإحياء : الأفضل أن يختم ختمة بالليل و أخرى بالنهار و يجعل ختمه النهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما و يجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار و آخره و روى ابن أبي داود عن عمر بن مرة التابعي قال : كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار و ع طلحة بن مصرف التابعي الجليل قال : من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي و أية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح و عن مجاهد مثله و روى الدارمي في مسنده بإسناده عن سعد بن أبي وقاص B ه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح و إذا وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي : هذا حسن من سعد و عن حبيب بن أبي ثابت التابعي : أنه كان يختم قبل الركوع قال ابن أبي داود : و كذا قال أحمد بن حنبل C تعالى و في هذا الفصل بقايا ستأتي إن شاء الله تعالى في الباب الآتي (فصل : في المحافظة على القراءة بالليل) ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر قال الله تعالى { من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين } و ثبت في الصحيح عن رسول الله A أنه قال [نعم الرجل عبد الله] لوم كان يصلي من الليل [و في الحديث الآخر من الصحيح أنه A قال [يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه] و روى الطبراني وغيره عن سهل بن سعد B ه عن رسول الله A قال : [شرف المؤمن قيام الليل] و الأحاديث والآثار في هذا كثيرة و قد جاء عن أبي الأحوص الحبشي قال : إن كان الرجل ليطلق الفسطاط طروقاً : أي يأتيه ليلاً فيسمع لأهله دويًا كدوي النحل قال فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون ؟ و عن إبراهيم النخعي كان يقول : اقرأوا من الليل ولو حلب شاة و عن يزيد الرقاشي قال : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى قلت : و إنما رجحت صلاة الليل و قراءته لكونها أجمع للقلب و أبعد عن الشاغل و الملهي و التصرف في الحاجات و أصون عن الرياء و غيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل فإن الإسراء برسول الله A كان ليلاً و حديث [ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول : هل من داع فاستجب له] الحديث و في الحديث أن رسول الله A قال [في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة] و روى صاحب بهجة الأسرار بإسناده عن سليمان الأنطاقي قال : رأيت علي بن أبي طالب B ه في المنام يقول : (لولا الذين لهم ورد يقومونا و آخرون لهم سرد يصومونا لدككت أرضكم من

تحتكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تطيعونا) واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالليل والكثير وكلما كثر كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه وإلا أن يضر بنفسه ومما يدل على حصوله بالليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص Bهما قال : قال رسول الله A [من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقسطين] رواه أبو داود وغيره وحكى الثعلبي عن ابن عباس Bهما قال من صلى بالليل ركعتين فقد بات لله ساجدا وقائما .

(فصل : في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان) ثبت عن أبي موسى الأشعري الإبل من تفلتا أشد لهو بيده محمد نفس فوالذي القرآن هذا تعاهدوا [قال النبي عن B في عقلها] رواه البخاري و مسلم وعن ابن عمر Bهما أن رسول الله A قال [إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت] رواه مسلم و البخاري وعن أنس بن مالك B قال : قال رسول الله A [عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أممي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها] رواه أبو داود و الترمذي وتكلم فيه وعن سعد بن عباد عن النبي A قال : [من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة وهو أجزم] رواه أبو داود و الترمذي .

(فصل : فيمن نام عن ورده) عن عمر بن الخطاب B قال : قال رسول الله A [من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنه قرأه من الليل] رواه مسلم وعن سليمان بن يسار قال : قال أبو أسيد B : نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت فلما أصبحت استرجعت وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني رواه ابن أبي داود وروى ابن أبي الدنيا عن بعض حفاظ القرآن : أنه نام ليلة عن حزبه فأرى في منامه كأن قائلا يقول له : (عجت من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر والموت لا يؤمن خطفاته في ظلم الليل إذا يسري)